



كان من فضائل آل الأسد أن تم سجني ثلاث مرات في سوريا، وكان منها واحدة لحوالي الستين كما، تم توقيفي في كل من الأردن والعراق أياماً لنفس الأسباب، كما تم توقيفي ساعات في كندا بشبهة وثائق، لذا تكونت عندي تجربة أحببت نقلها لشباب الثورة السورية واليمنية، ولمن هم على الدرب من الشعوب العربية المستعبدة تحت يد اليهود أو من هم أشد من اليهود علينا.

عندما تعقل وتقاد إلى فروع التحقيق الأمنية هناك حيث تكون وحدك لأول محنـه، هناك حيث مكر المحقق وذكاؤك، وقوسـته وصمودك فمن المنتصر؟

إن إخوة نضالك ينتظرون صمودك البطولي، فإنـ كان التعذيب فهو أجر وشرف لك ولمن بـعدك، وإنـ كان الموت فهو مكتوب وهو نهاية كلـ حـي وهو هنا الشهادة، فإـياكـ أنـ تسـاهمـ فيما يـريـدـهـ النـظـامـ منـ إـسـقـاطـ رـايـتـناـ عـلـىـ الـأـرـضـ، فـكـنـ عـنـدـ حـسـنـ ظـنـهـمـ أـنـ صـمـودـكـ فـيـ الشـارـعـ وـتـحـتـ التـحـقـيقـ ضـرـبـةـ عـنـ مـنـ لـمـ يـشـارـكـواـ مـنـ جـارـ وـقـرـيبـ، وـكـمـ سـتـفـرـحـ كـمـ فـرـحـتـ أـنـ وـغـيرـيـ بـعـدـ زـمـنـ، وـكـمـ سـتـفـرـخـ بـذـالـكـ. (عـنـدـمـاـ صـفـعـنـيـ النـقـيـبـ) عـارـفـ مـعـاـونـ غـازـيـ كـنـعـانـ - مـسـؤـولـ المـخـابـراتـ العـسـكـرـيـةـ فـيـ حـمـصـ سـابـقاـ، قـلـتـ فـيـ نـفـسـيـ: هـذـاـ هـوـ أـلـأـجـرـ مـنـ اللـهـ أـلـقـاهـ تـحـتـ يـدـ الـمـخـابـراتـ، إـنـهـ الـمـعـنـوـيـاتـ فـحـافـظـ عـلـيـهـ فـيـ نـفـسـيـةـ الـثـائـرـ، وـإـنـهـ لـأـمـانـةـ عـظـيمـةـ أـنـتـ تـحـمـلـ الـأـسـرـارـ فـلـاـ تـبـوحـ بـهـاـ، (الـآنـ لـنـ تـخـافـ إـلـاـ إـذـاـ وـضـعـتـ أـسـرـارـكـ عـنـدـ مـنـ لـاـ تـلـزـمـهـ، أـلـمـ تـحـمـلـ مـعـلـومـاتـكـ مـنـ الـمـخـبـأـ لـلـمـخـبـأـ).

إـنـهـ سـيـوـهـمـوكـ أـنـهـ يـعـرـفـونـ كـلـ شـيـءـ فـلـاـ تـصـدـقـهـمـ؛ (لـأـنـهـ أـوـسـخـ مـنـ فـيـ الـمـجـتمـعـ)، بـأـنـهـمـ يـعـرـفـونـ كـلـ شـيـءـ؛ (فـلـاـ تـخـفيـ وـأـلـفـ أـمـ تـبـكيـ وـلـاـ أـمـيـ، وـحـافـظـ عـلـىـ كـرـامـتـكـ وـتـكـلـمـ، وـشـوـ بـتـحـبـ تـشـرـبـ وـالـعـشـاءـ - كـمـ قـالـ لـيـ الـمـنـحـورـ غـازـيـ كـنـعـانـ -).

وـأـعـطـانـيـ النـقـيـبـ بـيـجاـمـتـهـ لـأـنـاـ بـهـاـ فـرـضـتـهـا.. وـفـيـ الصـبـاحـ أـحـضـرـوـاـ لـيـ كـدـسـ كـبـيرـ مـنـ الـوـرـقـ كـضـغـطـ نـفـسـيـ، وـقـالـ لـيـ النـقـيـبـ: هـلـ يـكـفـيـ هـذـاـ لـمـاـ عـنـدـكـ مـنـ مـعـلـومـاتـ؟ اـتـصـلـ الـمـاسـعـدـ وـقـالـ: بـدـنـاـ كـيـبـلـاتـ لـلـتـعـذـيبـ، اـحـتـيـاطـ.. لـكـنـ أـظـنـ أـنـهـ سـيـتـكـلـمـ الـحـقـيـقـةـ، قـالـ الرـائـدـ الطـائـفـيـ السـلـطـوـيـ: غـازـيـ كـنـعـانـ - مـسـاعـدـ سـابـقاـ - اـنـتـبـهـ!! أـحـرـمـكـ الـأـطـفـالـ. - لـكـنـ فـيـ دـاخـلـيـ كـنـتـ أـقـولـ

والله لو تذبحوني، فاقض ما أنت قاض.. وما هي إلا نصف ساعة وبدأ التعذيب حتى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل بالضرب والكهرباء.. لكن أفخر أمامي نفسي وضميري وأولادي بأنني كنت صامداً.. وأنا أقول ذالك ليس تباهياً.

وصمدت فترة لأعرف ما يريدون إلى أن تكونت عندي فكره عن التهمة، ولا تصدق جهاز كشف الكذب.. فقد رأى صديقي أن من مصلحته في التحقيق أن يقول الصدق وقتها، فلسعه الجهاز إنه شكل من أشكال الخداع، وكذلك وضعوا صوتاً مسجلاً بصوت الشيخ محمود الحامد، وتبيّن أنه كذب، وأنهم استعملوا جهاز تغيير تردد الصوت، وقد يضعون لك مخبراً في الزنزانة أو يدخل قبلك الزنزانة على أنه سجين، فتبث له حزنك وهمك، فينقله بالكلام أو بالتسجيل كما غرفة العصافير.

ليس الضرب من ينزع المعلومات، فالضرب يعني إصراراً أكبر في نفس المعتقل على مقاومة وكره النظام. لكن التخويف هو الأهم، فقد يضعون لك على باب الزنزانة من يتكلم عن أنك ستعدم غداً أو تعصب عينيك وترتبط للعمود للإعدام، والمعلومات مطلوبة للعفو عنك -كان هذا مع المعتقل أيمن حداد، وقد أعادوها مرتين-. وكذلك الإيحاء بقدوم معدبين أو التوصية بإرسال كليبات للتعذيب -كما حصل معـيـ، لكن المعلومات شيء منفصل عن الألم بقرار داخلي يقرره السجين في نفسه.

إن بداية التنازل بالباء بإعطاء المعلومات سيورطك بتعذيب أكثر، (فحصاد الزيتون بضرب الأغصان سيستمر مادام الزيتون ينزل ويقف الضرب بعد مرات من الضرب الذي ليس معه نزول للثمار، فلماذا لا نصمد بعد الضرب في البداية، وهو أفضل وهو قطع لطريق التعذيب).

أما إذا ثبت عليك تقاطع المعلومات كشهود عده بما لا يدع مجالاً للشك فضع المسؤولية والمصدر والصلة باسم متوفى أو شهيد أو مغادر، مثل: اعترف ثلاثة أنهم أخذوا منك المال، فمن أين أتاك؟ هنا تضعها باسم شخص غادر البلد، أو استشهد بدل شخص موجود داخل البلد. أعد التحقيق في ذاكرتك إذا كنت قد أعطيت معلومات كاذبة. اهتم خلال التحقيق برفع معنويات نفسك بالقرآن والشعر والنداءات الخفية -كنت أنا أردد في نفسي خلال التعذيب: والله ولو تذبحوني-. وفي صباح العيد كنت أمشي مشية على وقع نشيد:

أخي أنت حر وراء السدور *** أخي أنت حر بتلك القيود
أخي قد رموك بسهم ذليل *** وغدراً رماك ذراع كليل
ستبر يوماً فصبر جميل ** ولم يرم بعد عرين الأسود

بينما كان أحد أطباء الجيش -المتهم بالرشوة واسمـهـ غسان مسعـسـ الشـريكـ الحالـيـ لـبشرـيـ الأـسدـ. يـبـكيـ أمـاميـ. وـكـنـتـ لاـ أـسـمـحـ لـنـفـسـيـ بـالـاسـتـرـسـالـ فـيـ العـاطـفـةـ. سـجـلـ صـمـودـكـ عـلـىـ جـدـرـانـ الزـنـازـنـ بـالـآـيـةـ أـوـ الشـعـرـ أـوـ الـوـصـيـةـ، بـثـرـةـ عـظـمـ، أـوـ بـحـيـدةـ السـحـابـ لـبـنـطـالـكـ. إنـ الصـمـودـ وـالـثـبـاتـ عـلـىـ الـمـعـلـوـمـاتـ الـمـقـدـمـةـ سـيـجـبـرـ الـمـحـقـقـ عـلـىـ تـغـيـيرـ قـنـاعـتـهـ كـذـالـكـ.

ماـذـاـ لـوـ عـرـضـوـاـ عـلـيـكـ التـعاـونـ مـعـ الـمـخـابـراتـ فـورـ خـروـجـكـ؟

الأخ الشهيد مأمون كاهي رفض وأعدم وقال لي: إنه إعطاء الدنيا. أما أنا فقد وافقـتـ معـ غـازـيـ كـنـعـانـ ثمـ لمـ أـتـوـاـصـلـ معـهـ.

ماـذـاـ لـوـ كـانـ هـنـاكـ عـنـصـرـ أـبـدـيـ تـعـاطـفـهـ مـعـكـ وـاستـعـدـادـهـ لـلـخـدـمـةـ؟ـ لاـ تـعـطـيهـ سـرـكـ،ـ وـلـكـنـ لـاـ مـانـعـ مـنـ تـقـدـيمـ خـدـمـاتـ شـخـصـيـهـ لـكـ،ـ وـمـمـكـنـ إـرـسـالـ رسـالـةـ بـمـاـ سـأـلـوكـ،ـ وـمـاـ ذـاـ أـجـبـتــ دونـ الإـشـارـةـ إـلـىـ مـاـذـاـ تـكـتـمـتـ عـلـيـهــ،ـ عـلـىـ أـنـ تـرـسـلـ لـأـهـلـكـ فـقـطـ وـمـنـ ثـمـ فـانـ أـهـلـكـ سـيـعـطـوـنـهـ لـرـفـاقـكـ تـلـقـائـيـاــ.ـ إـنـ الـمـعـلـوـمـاتـ لـاـ نـعـطـيـهـاـ فـلـاـ نـعـطـيـهـاـ بـالـرـخـاءـ خـارـجـ السـجـنـ مـنـ أـجـلـ الـمـبـاهـةـ أـوـ الـثـرـثـرةــ.

لغة الزنان:

في ضربات ثقيلة وخفيفة لا يسمعها السجان يمكنك التكلم مع جارك. كيف؟ كان الإخوة معنا في سجن المزة عام 1978 م

مثقفين في غالبيتهم، لذا اخترعوا لغة الضرب على الجدران. إن مجموعات الأحرف: (أبجد هوَّز حطي كلم قرشت سعفصن سخذ ضغظ)، ويكون عدد الضربات بالقبضه يرمز للمجموعة، والنقر بالإصبع المغلقة يرمز تكراره لرقم الحرف في المجموعة. مثال: كلمة (لا)، تكون أربع ضربات بالقبضه، ثم ضربتين بالإصبع، ثم ضربة واحدة بالقبضه، وضربه واحده بالإصبع.

كيف تقضي وقتك في السجن أو الزنزانة:

اخرج للتنفس كلما أمكنك ذلك، واعمل الرياضة اليومية مره أو مرتين، اقرأ مما تحفظه من كتابك المقدس، أو احفظ مجدداً منه من خلال القراءة أو بالتلقين من صديق آخر، اقرأ أدعية مؤثرة مرتان عند الفجر وعند الغروب، تعلم اللغة العربية والإنجليزية من يمكنه ذلك.

الخط الأساسي في التعامل مع المحقق:

اتبع الشهيد حسن عصفور أسلوب: هذا كل ما عندي ولزم الصمت، وقتل بالسحل ولم يتكلم بحرف. اتبع الشيخ مروان حديد أسلوب: الضرب بالضرب حتى يغمى عليه، وعندما دعي للتحقيق خلال وجوده في الزنزانة من قبل مكتب الأمن القومي الذي يرأسه حافظ الأسد قال لهم: من يريد الآخر هو الذي يأتي إليه، وعذب في ذلك كثيراً.

وكذلك جاري في السجن الشيخ/ عرفان المدني بنفس العزة، عندما قال له العميد علي المدني: أنت هنا ولا تعرف ماذا تفعل زوجتك بسبب اعتقالك؟ أجاب: أن أعرف زوجتي، لكن عليك أنت أن تعلم ماذا تفعل زوجتك يا مسكين. وكان بعذته وكرامته يغنيط الجنادين حتى رموه من سطح سجن تدمر للأرض فاستشهد، وكان مسعف سلامه يصرخ: يا كلاب، رغم تعذيبه بالضرب وتعليقه من رسفيه، ثم كسر الرجل تلو الأخرى وهو يصيح: يا.. يا كلاب.

أما أنا؛ فكنت أصرخ بصوت عالي جداً خلال التعذيب، وأنظاهر بأنني غير معنى بأحد، وهي كان فقط بأن لا تؤخذ مني المعلومات.

والليوم أثمرت دماء وصيحات ونداءات الشهداء والمعتقلين، وقام الشعب السوري في كل مكان، فما أجمل من ذلك إلا النصر القريب -بعون الله-.

إن الشعب السوري يدفع ضريبة الصمت لعشرات السنين، فلنصدم ولا نتنازل للعدو الطائفي السارق القاتل الخائن حتى ننتصر.

فإن كان النصر فالشرف للصمود، وإن كان الشهادة فهي أفضل نهاية لحياة لا بد أن تنتهي؛ وسيعلم اللذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

المصادر: